أما باقي مراسي الساحل المتوسطي الأندلسي فنذكر طرطوشة التي وفرت لها غاباتها المنتشرة في جبالها الأشجار الصنوبر المادة الأولية لصناعتها، وقامت بإنشاء المراكب التي اعتمد عليها المجاهدون المرابطون في الثغر الأعلى للأندلس لقد أغار مسيحية كانت تهددهم كل حين انطلاقا من سواحل بيزة وجنوة وبروفانس وصقلية وجزر البليار (أو الشرقية). وفضلا عن هذه الوظيفة البحرية العسكرية للمدينة فإنها كانت تعرف حركة تجارية نشيطة أنجزت وذلك بتصديرها منتوجات السهل الواقع على ضفاف نهر الإبرو ومنطقة سرقسطة.

كما نذكر كذلك مرسى قرطاجنة الذي تميز بملاءمته لمرسو المراكب المختلفة والمتنوعة من حيث الوجهة أو من حيث الحجم، وبعدها تأتي مرسى طريف، وبلنش وبرشمان ولقنت، التي تولت إنشاء المراكب السفرية والمراريق. ثم دانية التي توفرت على دار للصناعة، تقصدها المراكب من جهات مختلفة وتخرج منها متوجهة نحو المشرق، وفي الأخير مرسى المنكب وبجانة.

مراسي ودور الصناعة البحرية على الساحل الأطلسي.

يبدو أن الساحل الأطلسي كان أقل نشاطا من الساحل المتوسطي في بلاد المغرب الأقصى والأندلس. فإذا استثنينا بعض الموانئ مثل قادس، اشبيلية ولشبونة وسلا وآزمور بعد الفتح، وقصالة فإن باقي المدن التي في التاريخ الوسيط الإسلامي كانت مدنا بحرية ذات حماية ضعيفة أو على الأقل جهوية إذا صح التعبير، تلبي حاجيات السكان في مجال الصيد وتنقلاتهم القصيرة، ولعل هذا راجع إلى صعوبة الإبحار في المحيط الأطلسي الذي ارتبط في المخيال التاريخية والجغرافية بعدة أسماء كبحر أوقيانوس ونهر الظلمات والبحر المظلم. فهذه الأسماء توحي ضمنيا بالصورة التي كونتها المخيلة عن هذا البحر، ولهذا فقد اعتبر الإبحار في المحيط الأطلسي مغامرة حقيقية، ولعل هذا ما يفسر إصرار سكان المنطقة على ضرورة استكشاف مجاهل هذا البحر وهي المحاولة التي قام بها الفينيقيون المغروبون.

⊕ مراسي ودور الصناعة في المحيط الأطلسي الأندلسي.

إشبيلية:

برزت هذه المدينة رغم أنها داخلية وبعيدة عن المحيط الأطلسي لكنها تقع على أكبر نهر في الأندلس وهو الوادي الكبير فهي مرسى نهري بالدرجة الأولى، ودار صناعة داخلية، نشأت بها المراكب وتعد العمائر ولم تبرز اشبيلية على الواجهة البحرية إلا بعد الغزو النورماندي للساحل الغربي للأندلس، فقطنت إبانها الخلافة الأموية إلى ضرورة نقل وحدات الأسطول التي كانت ترابط في الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي. تم توسيع دار الصناعة اشبيلية وبناء سورها وهو ما أعطى للمدينة مناعة قوية جعلها تصد الهجوم النورماندي في غزوتهم الثانية.

شكلت المدينة في الفترة الموحدية، محطة رئيسية بعد العبور الى المغرب من برالعدوة، وهو ما جعلنا نسجل مدى الاهتمام الذي اولاه الموحدون للبحر، اذ لم يقتصروا على تلك القواعد التقليدية وانما سعوا الى اقامة محطات نزولهم بر العدوتين وذلك حسب المسالك البرية التي يتبعونها في اسفارهم، ولهذا فان كان هناك قلاع من مرسى القصر الصغير فان لابد من الرسو في جبل الفتح ثم الجزيرة الخضراء، اما اذا كانت الانطلاقة من مرسى سلا او مرسى رباط الفتح فلا بد من الرجوع راسا الى اشبيلية مباشرة.

ثم إن الموحدين ادركوا منذ زمن طويل مدى الخطر الذي يتهدد الاندلس وبلاد المغرب من الجهة الغربية، حيث كان يرابط فيها الاسطول والقوى البحرية البرتغالية المتربصة بالمسلمين، فارتأى الموحدون ان يتخذوا من اشبيلية عاصمة لهم في الاندلس عوض قرطبة عاصمة المرابطين والامويين من قبل ومركزا للفتوحات الإسلامية في الجزيرة، فاقام ابو يوسف جسرا من السفن حتى يعبر عليه الناس دون مقابل، وكان يربط بين اشبيلية وطريانة.

أما بالنسبة لمراسي الساحل الاطلسي الاندلسي يمكن ذكر مرسى قادس، مرسى طبرية، مرسى شنتمرية الغرب ومرسى قصر ابي دانس، ومرسى شلب ومرسى اشبونة.

مراسي ودورصناعة الساحل الاطلسي المغربي.

جاءت المادة التاريخية قليلة حول هذه المراسي ودور الصناعة الساحل الاطلسي المغربي، وبالتالي اصبح المجال مفتوحا لطرح العديد من التساؤلات حولها، خصوصا اذا استثنينا ميناء طنجة باعتباره مرسى متوسطي والمطل في آن واحد، وكذلك ما ورد من مادة علمية تتعلق بمرسى سلا ومرسى رباط الفتح، باعتبارهما القاعدتين البحريتين

اللتين تشيران مع قيام الدولة الموحدية، في حين أن بقية المراسي المغربي الأطلسي لا يزال في حاجة الى المزيد من البحث والتنقيب خصوصاً على مستوى تحديد الموقع أو نشاطها التجاري والعسكري، وحتى على مستوى علاقتها بظهير المرسى البحري الذي ترتبط به علاقة اقتصادية واجتماعية.

تفيدنا المصادر الجغرافية أن آخر مرسى يمكن الرسو فيها على الواجهة الأطلسية هي مرسى نول لمطة. اذا جاءت السفن قد انطلقت من مرسى مدينة الرباط، مع الأخذ بعين الاعتبار ان الابحار في مياه المحيط الأطلسي كانت أصعب هاهي علمتك في البحر المتوسط، مما جعل الملاحة البحرية تكاد تكون غير مشجعة في هذا المجال البحري، الا أنه يلاحظ ان بعض الذين يشتغلون بالبحر تحدوهم كل حين حب المغامرة لاكتشاف المزيد من المجالات البحرية لهذا المحيط، خصوصاً وان لهؤلاء الجارة تراث بحري عريق تشكل احيانا في التاريخ البحري واحيانا في الشكل القصصي العريق، واحيانا اخرى يبرز كل حين في ثنايا قصائد شعرية على شكل شخصيات ذات اهمية لها علاقة بالمغامرة في هذا المحيط وان لهذه الاخيرة حادث بمعلومات بحرية عن هذا الاخير، مثل ما حدث مع الرحلة البحرية القرطاجية التي حاولها قرطاجون بهدف الاكتشاف وتوسيع تجارة قرطاجة في الحوض الغربي من البحر المتوسط، وبالتالي البحث عن اسواق جديدة بعيدة عن المنافسة الاغريقية والرومانية واعتماداً على هذه التجربة المذكورة، حمل الفتح الاسلامي وكذلك الامارات المغاربية في الاستمرار الملاحة البحرية الاطلسية جنوبا الى حدود فهم السينغال الذي سيشهد ميلاد دولة مغربية قوية وهي الدولة المرابطية التي رسمت المعالم الكبرى لعملية الابحار في السواحل الاطلسية التي كانت ترتبط هذه الاخيرة، بالتحوم الصحراوية في بلاد السودان.

أدى ظهور الدولة الموحدية الى الإهتمام المتزايد بالساحل الاندلسي المقابل منه والاندلسي، وخير دليل على ماسبق هو المشروع الكبير والمتمثل في تأسيس مدينة رباط الفتح كقاعدة عسكرية بحرية، تتجمع فيها وحدات الجيش الموحدي وقطع الاسطول العسكري والتجاري، وقد استفاد الموحدون بتجارب الذين سبقوهم من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب منذ الامارات المستقلة، من ادارسة واما أتهم المغراوة في بلاد المغرب وكذلك من المرابطين الذين حلوا محلهم بعدما انتهوا والتي كانت بسبب خطأ بحري تذكر المصادر الوسيطية الاسلامية.

ظهرت على مسرح الاحداث مدينة أصيلا بمساهمة المأمون والحمى من الرباط، والذي اصبح رباطاً للجهاد خاصة ابان ظهور البحارة الجوس النورمان على سواحل بلاد المغرب، وهي عوامل ادت الى تطور المدينة المرسى لها شهرتها التجارية في بقاع العالم القديم، فارتفع عدد التجار الوافدين عليها خصوصاً خلال بعض المواسم التي تنظمها المدينة خلال بعض الشهور الدينية مثل شهر رمضان، وذي الحجة وعاشوراء، وكان هذا العامل ادى الى انتعاش الاقتصاد الذي دفع بالعمل على تنوع الوجهات البحرية انطلاقا من المدينة المرسى ذاتها الى مختلف انحاء المغرب والاندلس والمشرق وخير دليل على ذلك ماجاء عند ابي عبيد البكري بان المدينة الادريسية البصرة كان يربطها بالبحر المحيط نهر سفدد الذي كان مصبه قرب مدينة أصيلا، وكان بذلك بابا نهريا يربط الداخل بالساحل في موقع مدينة أصيلا، وشاع خبر المدينة في عالم الاقتصاد والتجارة فكانت تقصد السفن التجارية من مختلف مراسي الاقلاع المتوسطية والاندلسية في مناسبات مع سفن مدن البندقية وجنوة، التي كانت تحمل خيراتها من الجلود والحبوب في إتجاه مدن الغرب المسيحي الغربي.

وغير بعيد عن أصيلا، نجد مرسى العرائش، الذي كان يستقبل السفن التي تحط به، وهو يودع التي تستعد للاقلاع، تقع على نهر اللوكسوس او اللوكوس فيما يعد، ولا شك ان لهذه المدينة تاريخ عريق في عالم الملاحة البحرية الاطلسية اذ تروي المصادر على ارتفاع وتيرة انتعاشها اقتصاديا قبل الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، حسب ما جاء في المصادر اللاتينية خاصة كتاب ابو طليس الكطلاني، وخفا بريقها بعد ذلك، لان المصادر الاسلامية لم تشر اليها الا في عبارات مقتضبة حسب البكري، مما يدفع بالباحثين الى التفكير في ان دور هذه المدينة البحرية قد عرف تراجعا في العصر الوسيط، بسبب منافسة محل من مرسى لمنجة وسبتة خاصة لأن الاشعاع التجاري لهذه الاخيرة قد عم الافاق وانتشر خبرها في العالم الاسلامي والاوربي في فترة العصر الوسيط، ولكن رغم هذا كله فقد بقيت العرائش ميناء صيد الاسماك بانواعها وتصديرها الى جميع انحاء المغرب وهو نشاط لا زال قائما الى أيامنا هذه.

ليس بعيدا عن مرسى العرائش وفي جنوبه، يقع مرسى مولاي بوسلهام الذي تشغل وظيفة ميناء مدينة البحرة المشار اليها سابقا، ولا شك ان المنافسة بينه وبين مرسى العرائش ادت به الى تناقص كبير في حركته التجارية مع العالم الخارجي، ثم ان العمر السياسي لمدينة البحرة كان كذلك سببا في خفوت دور مرسى مولاي بوسلهام او مرسى الزرقاء كما تسميها بعض المصادر المعاصرة.

والى الجنوب من المرسى السابق، تبرز مدينة المهدية المعروفة باسم المعمورة في المصادر المغربية، وقد اخذ اسم المهدية الى ايام حكم السلطان مولاي إسماعيل سنة 1681م، عندما حاصر الاسبان في مينائها، ولما اشتد الحصار، سلم احد الرهبان مفاتيح المدينة للسلطان الذي دخلها منتصرا فسماها بالمهدية. نشطت هذه المدينة المرسى في النشاط البحري التجاري والعسكري زمن الدولة الموحدية وبحكم قربها من سلا والرباط

فقد خصها الخليفة عبد المؤمن باهتمام كبير، فأصبحت بذلك دار صناعة السفن الملكية لاسطول الموحدي العتيد، وتذكر المصادر انه أمر بانشاء حوالي مائة وعشرين قطعة بحرية من اصل اربعمائة قطعة، ولعل هذا العدد الكبير من وحدات الاسطول ما هو إلا دليل على ان المدينة البحرية كانت تتوفر على مادة الخشب الصالح للسفن، وعلى خبرة متراكمة منذ زمن طويل في هذا المجال، وعلى تواجد أساطيل كل من مدينتي سلا والرباط. مؤهلات لعملية الغزو البحري وكذلك للنشاط التجاري. وتشير المصادر الوسيطية الى وظيفة صناعة السفن البحرية المتميزة الى عهد الدولة المرينية حيث جاء ابن السلطان المريني قد خصص لها خشاب الصنوبر لهذه القاعدة البحرية لاعداد الاجفان حسب ما جاء عند ابن الحاج التلمساني في كتابه فيض العباب.

قلت: ترى اغلب الدراسات انها بنيت في مرحلة قريبة الى التاريخ وبالتالي سابقة في وجودها عن دخول الاسلام الى بلاد المغرب. ويرى الباحث محمد زنيبر أن هناك اختلاف واضح بين سلا وشالة، وانهما مدينتان منفصلتان معتمدا في ذلك على ما كتبه الاوربيون الذين اعتقدوا على ان سلا هي شالة وجاء في كتاباتهم على هذا الشكل ووقع الالتباس عند الذين اخذوا عنهم. اكثر من هذا على ان المدينتين معا تقعان على ضفاف واد ي ابي رقراق خصوصا في نقطة التقائه مع المحيط الاطلسي.

ومهما يكن من أمر فان المدينة حظيت بالاهتمام كبير من طرف الدولة المرينية في العصر الوسيط خاصة عند الموحدين والمرينيين، فتوسعت بنيتها العمرانية ونشطت دار صناعتها، فاصبحت بذلك نقطة تجمع العساكر واعداد العدة اللازمة للتوجه نحو الاندلس فعلى سبيل المثال في عهد الموحدين ما لكن الملاحظ ان